

النقد الثقافي بين عز الدين المناصرة وعبد الله الغدّامي

Cultural criticism between Izz al-Din al-Manasra
and Abdullah al-Ghadami

د/ إبراهيم أبو حمّاد

جامعة صفاقس بتونس

IbrahimAboHammad@yahoo.com

تاريخ النشر: 2024-01-01

تاريخ القبول: 2023-11-20

تاريخ الإرسال: 2023-09-23

ملخص:

تناقش هذه الدراسة مصطلح النقد الثقافي بين علامتين من علامات النقد في الأدب العربي الحديث، وهما: عزّ الدين المناصرة وعبد الله الغدّامي، وذلك لبيان منهجيهما في تلقي النقد الثقافي، ومناقشة المرجعيات الفكرية لهما، ولقد وظفت الدراسة نظريات نقد النقد، والتلقي، والنقد الثقافي للوقوف على أوجه الشبه والاختلاف بينهما، وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج منها: إنّ النقد الثقافي منفتح على التوجهات الفكرية المختلفة من الليبرالية الجديدة التي يمثلها الغدّامي، وحركات التحرر الوطني ويمثلها عزّ الدين المناصرة، وبأن التوجهات نحو بلاغة الثقافة الليبرالية تحظى باهتمام أكبر من ثقافة المقاومة والتحرر الوطني.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، النقد الأدبي، البلاغة الثقافية، الأنساق الثقافية.

Abstract:

This study discusses the term cultural criticism between two signs of criticism in modern Arabic literature, namely: Izz al-Din Manasra and Abdullah al-Ghadami, in order to demonstrate their approaches to receiving cultural criticism and to discuss their intellectual references. To focus on similarities and differences between them, the study reached a number of results, including that cultural criticism are open to the different intellectual trends of neoliberalism represented by Al-Ghadami, the

national liberation movements represented by Ezzedine Manasra, and that trends towards the eloquence of liberal culture care about her more than the culture of resistance and national liberation.

key words: Cultural Criticism, Literary Criticism, Cultural Rhetoric, Cultural System.

La critique culturelle entre Izz al-Din al-Manasra et Abdullah al-Ghadami

Résumé:

Cette étude discute le terme de critique Culturelle entre deux signes de critique dans la littérature arabe moderne, ce sont : Izz al-Din Manasra et Abdullah al-Ghadami, afin de clarifier leurs approches de la réception de la critique culturelle et de discuter de leurs références intellectuelles.

Et la critique culturelle pour découvrir les similitudes et les différences entre eux, et l'étude a atteint un certain nombre de résultats, notamment : que la critique culturelle est ouverte aux différentes tendances intellectuelles du néolibéralisme représentées par Al-Ghadami, et les mouvements de libération nationale représentés par Ezzedine Manasra, et que les tendances vers l'éloquence de la culture libérale l'emportent sur la culture de la résistance et la résistance au National.

Les mots clés:

Critique culturelle, Critique littéraire, Rhétorique culturelle, Modèles culturels

المقدمة:

إنَّ النّقد التّقافي مسكوك تنبثق عنه مفاهيم متحوّلة ومتعدّدة وتختلف متحوّراتها باختلاف إبداع القارئ وتحديد حدود المفهوم لهذا المصطلح، وبذلك فإنّ النّقد التّقافي في تصوّره الغربي بكتابات فينسنّت ليتش (Leitch, V) تأويل نقدي لخطاب المؤسسات الغربية⁽¹⁾، إلّا أنّ النّقد التّقافي في تصوّره العربي لدى ثلاثة من أعلامه وهم: عز الدين المناصرة عبد الله مُحمّد الغدّاميّ وإدوارد سعيد، يختلف باختلاف نطاق الرّؤيا المعرفيّة النقديّة.

ولقد تناولت دراسات سابقة النقد الثقافي بين أعلام عربية بالموازنة والمقارنة، أو بالدراسات المنفردة، ولكن لا توجد دراسة بين المناصرة والغذامي على وجه التحديد، ومن هذه الدراسات، دراسة عمر ز. (2015). النقد الثقافي باعتباره طاغية قراءة في ميتافيزيقا النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي. مجلة كلية الآداب واللغات، 1(1)، 188-198. وكذلك دراسة زقيم، عصام. وزين، خديجة. (2023). النص الأدبي من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي، كتاب "النقد الثقافي" لعبد الله الغذامي أنموذجا. بدايات، 5(2)، 45-60. وغيرها من الدراسات التي ما زالت تسيل من الحبر الكثير، ولكنها لا تعد دراسات سابقة في النقد الثقافي بين المناصرة والغذامي.

يسعى عز الدين المناصرة إلى إيجاد صورٍ متشاكلة عن تعدديه الأصوات وفكرة الطبقات من جهة النقد الجمالي والإيديولوجي (لوكاتش) (Georges Lukcas) والبلاغي والأسلوبي (التناس)، والصور المادية والذهنية والعواطف والمشاعر والمواقف المعلنة أو الخفية والأزمنة من ماضي وحاضر ومستقبل، وإيقاعات متعددة متنوعة وأمكنة وشخص وتحويلات، أما إدوارد سعيد فيسعى في كتابه العالم والنص والناقد إلى نقد مفهوم موت المؤلف لدى رولان بارت فالنص يمتد إلى رؤيا العالم التي تحكم النص، وبذلك لا عجب من إطلاق الصواريخ في الحرب الفيتنامية وقراءة وزير الدفاع الأمريكي لرباعية الإسكندرية⁽²⁾، إذ إنها تتضمن أفكارًا تحريضية على القتل، وبذلك فإن إدوارد سعيد منفتح على بلاغة المقاومة، والمخاتلات التي تنثوي في الخطاب الاستعماري، وتشكيل خطاب ثقافي مقاوم، أما الغذامي فهل كان وفيًا للمدرسة الغربية التي شكلته فكريًا في إطار بلاغة الثقافة، وتحطيم أصنام السردية

العربية التقليدية والحداثيّة، وتعزيز الليبرالية الجديدة في ثقافة الصورة والتلفزيون والتويتّر... وتأنيث القصيدة؟.

ولذا؛ لدينا تصورات متباينة لمفهوم النّقد الثّقافي، إذ يحاول كل من هؤلاء النقاد أن يحدد مجاله المعرفي، وأن يتخذ إجراءات لممارسته النقدية، وإن هذه الدراسة تحاول أن تكشف الجهاز المفاهيمي لكل من عز الدين المناصرة وعبد الله الغدّاميّ وذلك في كتابيهما وهما: عز الدين المناصرة "النّقد الثّقافي المقارن: منظور جدلي تفكيكي"، وأمّا عبد الله الغدّامي ففي كتابه "النّقد الثّقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية" ولما كانت عتبات العنوان تدل على طاقة تأويلية تفسيرية مدلولات المحتوى وتفرعاته في المجالات البحثية لكل منهما، فإنّ دراسة عز الدين المناصرة للنّقد الثّقافي المقارن تكمن في المنظور الجدلي (ماركسي، هيغلّي، لوسيان غولدمان المادية الديالكتيكية) تفكيكي (دريدا)، وبذلك فإنّ عز الدين المناصرة انتقل من النقد الأدبي إلى المثاقفة وصولاً في رحلته البحثية إلى تعددية المعنى باستخدام المنهج الجدلي التفكيكي للنقد الثقافي المقارن، أما الغدّاميّ فإن مجاله المعرفي بكشف الأنساق الثقافية المضمرة في النص العربي، وبالنتيجة فإنّ كلا منهما يحاول تقويض المركزية التي يهدف لتقديم قراءات تأويلية لنقضها، وهي؛ العربية عند الغدّاميّ، والمركزية الأورو-أمريكية عند عز الدين المناصرة، وكذلك الاستعمارية لدى إدوارد سعيد.

بذلك فإنّ القراءات الثلاث تندرج في إطار نقد المنهج البنيوي، وتجاوزه، إذ إنّ المنهج البنيوي قاصر عن الكشف مقارنة بالقراءة الطباقية لدى إدوارد سعيد،

والتعددية عند المناصرة، والأنساق المضمرة لدى الغدامي، وبالنتيجة فإن النقد الثقافي مظلة لتحليل الخطاب، والقراءة على القراءة لدى أعلام النقد الثقافي العربي، وستقتصر هذه الدراسة على كتابي المناصرة والغدامي؛ وهما: النقد الثقافي المقارن: منظور جدلي تفكيكي للمناصرة، والنقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية للغدامي، وتفسير أقوالهما من كتابيهما، إذ إن النص يفسر ذاته، ودون الرجوع إلى دراسات أخرى خارج النصين.

تنقسم هذه الدراسة على مطلبين أساسيين هما: المطلب الأول النقد الثقافي المقارن عند عز الدين المناصرة وذلك في فرعين، أمّا الفرع الأول فيختص في قراءة مصطلح النقد الثقافي المقارن عند عز الدين المناصرة، أمّا الفرع الثاني فيتناول قراءة تطبيقية للنقد الثقافي المقارن عند عز الدين المناصرة، وعلى هذا النحو يتجه المطلب الثاني إلى دراسة النقد الثقافي لدى عبد الله الغدامي في فرعين مفهوم النقد الثقافي لديه في الفرع الأول، وتطبيق النقد الثقافي لدى الغدامي في الفرع الثاني.

المطلب الأول: مفهوم النقد الثقافي المقارن لدى عز الدين المناصرة:

يُعرف المناصرة النقد الثقافي المقارن بأنه: المصطلح الذي يشمل النقد الأدبيّ المقارن، والمثاقفة والنصوص الأدبية والنصوص الثقافية، وآليات التناسق والتلاصق والتعددية والحوار والاختلاف والتفاعل والعنكبوتية، بالاستفادة من مناهج العلوم الإنسانية والفنية على أن يتم تحديد دائرة النص ومحيطه وتحديد الإشعاعات التي ينتجها النص دون التوسع في تداعياته الخارجية أي: بضبط الحدود الثقافية للنص سواء أكان أدبيا أم ثقافيا حتى لا يفقد هويته، وبطبيعة الحال لا بد من تفجير

مكبوتات النص، وقراءة الأصوات المتعددة المتحاورة المتفاعلة فيه، بعيدا عن الشائبة الطباقية، وبعيدا عن الخارج الإسقاطي والخطاطات الشكلية، ويضاف إلى ذلك القراءة التي تؤثر في مصاير النص⁽³⁾.

إلا أن هذا المفهوم تتعالق معه شبكة من المفاهيم، التي سيناقشها الفرع الآتي:

الفرع الأول: قراءة في مصطلح التّقد الثقافي المقارن عند عزّ الدين المناصرة

نحت عزّ الدين المناصرة جهاز مفاهيمي لإيجاد نظرية نقدية عربية ثقافية تتضمن بلاغة المقاومة، في قراءة نقدية متجاوزة للمفاهيم السابقة، وقادرة على خلق مفاهيم خاصة بفضائه الثقافي، إذ إنها قراءة للتراث البلاغي الثقافي العربي والعالمي المقاوم، والذين ذكرهم في الإهداء⁽⁴⁾ ومنهم روجي الخالدي، مُحمّد غنيمي هلال، مالك بن نبي، هادي العلوي (فيسوف عراقي)... آسين بلاثيوس Miguel Asin Palacios، غوته، غرامشي، ومن هذه المفاهيم أو المصطلحات التي استخدمها عزّ الدين مناصره مصطلح تفاعل المراكز والأطراف، وإنّ هذا المصطلح في بنيته البلاغية الثقافية المقاومة ينتقل إلى الأدب عند عزّ الدين المناصرة، ويفتح عزّ الدين المناصرة هذا المصطلح بدراسة تاريخية للتفاعلات الثقافية العالمية، ويتضمن هذا المصطلح عنوان فرعي ثقافي ليبين أن التبعية للغرب فكرياً مثل رفاعة الطهطاوي يعد تلذذاً بالتبعية، ولذا فإن مناقشة التبعية الثقافية والمثاقفة مغيبة عن العالم العربي، وبالنسبة يخرج المناصرة المركزية الغربية من إطار الدراسات الثقافية المقارنة، لأن الغرب مختال في خطابه، إذ يسعى إلى تكريس الاستعلاء والتفوق والسيبرمانية والرجل الخارق

على العربي المتخلف أو المتوحش، وذلك ما ينطوي عليه مفاهيم الأدب العالمي، والفرانكفونية، والمثاقفة، مع إنكار لدور العربية في نهضة الغربي.

بالنتيجة يربط عز الدين المناصرة الرؤيا بموقفه من العالم وبتفاعل المراكز والأطراف والمثاقفة ويبين أثر الترجمة في هذه المثاقفة، ودور الاستشراق كمحاولة ثقافية أولى للتعرف على الشرق، إذ إن العلاقة بين الشرق والغرب علاقه جدلية، التي يُنظر إليها في حقبة العولمة بأنها سوق اقتصادية لتبادل المواد الخام بالتصنيع والتكنولوجيا، ويوجه عز الدين مناصره نقدًا لفكر النهضة العربية إذ إنها تقليد للنموذج الأوروبي فمثلا لم ينظر رفاة الطهطاوي إلى الغرب برؤية عقلانية نقدية مثل روجي الخالدي وجبران خليل جبران⁽⁵⁾، وإنما كانت رؤية الطهطاوي نقلية ترجمية، وما تبع ذلك من استعمار، الذي بلغ أوجه بتكوين الجيب الاستيطاني المتمثل بالكيان الصهيوني، ولذا؛ فإن هذه المثاقفة بالمفهوم الأوروبي للمثاقفة استعلائي، وبهذا يربط عز الدين مناصره بين المثاقفة والأنثروبولوجيا والاستشراق، وإنَّ المثاقفة لا تُعدُّ سبيلاً للخلاص من التبعية الثقافية، إلا أنه لم يقدم بديلا إجرائيا للرؤية العقلية لرفاهة الطهطاوي الذي حاول نقل المعرفة الغربية إلى العربيَّة في ظل معضلة الرجل المريض، وانتشار الاستعمار في الدول العربية والإسلامية، وقد يكون الدور المطلوب بمنظور مناصرة بأن يكون رفاة ناقدًا لا مترجماً ناقلاً فقط.

يبيّن عز الدين المناصرة بأنه لا يمكن الفصل بين الأيديولوجيا والأدب، فالغرب يسعى لإلغاء الجناح الحداثي الثوري في الثقافة العربية، ويشجع على إيجاد تيار الشكل، أو؛ الاتجاه التقني، وذلك لنفي المحلي والتاريخي، ولذا يؤكد عز الدين

المناصرة بأن إجهاض هذه التبعية تكون بتنمية الوعي الثقافي بهوية عربية ديمقراطية شعبية، وكذلك بإنتاج ثقافة وطنية تعمل على مناهضة الإمبريالية والعبودية للمركزية الأورو-أمريكية الأنسانية، وبذلك تشكل مقولات عز الدين المناصرة رفضاً للمثاقفة، التي تتضمن مفهوم التبعية، ورفضاً للمنهج البنيوي، وانتصاراً للمنهج الجدلي⁽⁶⁾.

مصطلح التفاعل المتبادل بين المتبادل:

إنّ لهذا المصطلح أهمية في التخطيط اللغوي العربي، وبأن تكون المنطقة العربية أكثر ارتباطاً بالعمق اللغوي لديها من اللغة السريانية والآرامية والكنعانية واللغات القديمة، مما يجعلها تتحرر من التبعية اليونانية التي تعد لائحة اتهام ضد العربية ووصفها بالتبعية للفلسفة اليونانية، تسعى إلى الاهتمام باللغات القومية الموجودة في الوطن العربي من اللغة الأمازيغية والكردية والسريانية والحد من التعصب العرقي في الوطن العربي؛ وبهذا فإنه يدعو إلى تعددية لغوية، وليس أحادية لغوية، والذي من شأنه إفادة اللغة العربية في تطبيقاتها بالنحو التاريخي المقارن، وكذلك في فهم الحضارات القديمة، ويعقد عز الدين مناصرة التفاعل بين اللغات على مستوى الاقتراض اللغوي والمعرب والدخيل، وحضور النص العربي على الشبكة العنكبوتية، وفي التنظير والنقد التطبيقي للأدب الإلكتروني التفاعلي، وبذلك فإنها دعوة لديمقراطية اللغة والاعتراف بالحقوق اللغوية للأقليات، مما يدمج المختلف بالقومي العربي، ويحد من التوترات العرقية في المنطقة العربية⁽⁷⁾.

أما مصطلح تعدد الأصوات:

ولما كانت قراءة عز الدين مناصرة منظورها جدلي تفكيكي ثقافي لأنه سعى إلى رفض الثنائيات الطباقية (إمبريالية - مقاومة) متوجها إلى تعددية الأصوات، وكذلك الجدل الفكري في تفاعلات الآداب المقارنة ثقافيا، وبالنتيجة فإنه ينتقد الأدب المقارن؛ إذ إنه تكريس للتبعية، وبينما يتجه المناصرة إلى خلق تعددية ثقافية مقارنة، تتمرد على المركز المتمثل بالأدب الرئيسية الأورو-أمريكية، وكذلك على مفهوم الأدب العالمي، وأيضا تجاوز النماذج الأدبية لأدباء عالميين مثل جوته وشكسبير وغيرهم، ويطالب بإحلال مصطلح التناص محل مصطلح التأثير والتأثر، وبهذا؛ فإنه يرفض تعريف بول فان تيغم بأن الأدب المقارن: علاقات ثنائية بين عنصرين، إذ إن هذه الثنائيات بالمنظور التفكيكي مرفوضة، وتتضمن التبعية لا التعددية، فالمدرسة الفرنسية تنظر إلى المدارس الأوروبية مثل الإيطالية والألمانية بأنها امتداد لها، وهذا يستلزم بالمنظور الفرنسي أن تحسب البلدان النامية امتدادا للأدب الفرنسي والأمريكي، فالتخلف التكنولوجي يقود إلى التخلف الأدبي، فالأدب الفرنكفوني والأنجلو فوني هو مجرد أدب مستعمرات، وبالنتيجة فإن شرط اختلاف اللغة يكون في خدمة التبعية الثقافية ففي المنظور الفرنسي فإن ما يكتب بالمستعمرات الفرنسية، أو؛ أراضي ما وراء الأقاليم التابعة لفرنسا ومنها الجزائر - في الفترة الاستعمارية - هو أدب فرنسي لأنه يكتب باللغة الفرنسية؛ ومن هؤلاء اللبناني جورج شحادة، وعلى الرغم من ذلك؛ يبين عز الدين المناصرة بأن الأديب الجزائري حتى لو كتب باللغة الفرنسية فإن اللغة الفرنسية تبقى سطح النهر، واللغة العربية

تكون عمق هذا النهر، وبهذا؛ فإن جورج شحادة كتب بالفرنسية ولا يمثل الشرق لاندماجه في النهر الفرنسي، ونظرا لحساسية المدرسة الأمريكية فإنها عملت على إلغاء شرط اللغة لتعزيز استقلاليته عن المدرسة الإنجليزية، وتحقيق خصوصيتها القومية والثقافية، وإن خصائص تكوين المجتمع الأمريكي المتعدد الأعراق يشكل خصائص قومية مختلفة عن الأدب الإنجليزي؛ مما يخلق مصطلح اجتماعية النص، ولقد نقد عز الدين المناصرة شعرية الواقعية الاشتراكية في العالم العربي، إذ إنها وظفت أسماء عالمية في الشعر مثل نيرودا ولوركا وناظم حكمت وغيرهم بشعاراتهم وأيدولوجيتهم دون الاهتمام بجماليات الماركسية؛ مما أدى إلى بروز الشعر الفلسطيني الشمالي وشعر الثورة الفلسطينية بعد عام 67 ولما كان أغلب شعراء الشمال الفلسطيني مرتبطين بالفكر الشيوعي وقبول الدولة الصهيونية، أو؛ مشروع ثنائية الدولة، فإن شعراء الثورة كانوا مع مشروع التحرر الوطني ومنهم عز الدين المناصرة، ولذا؛ فإن تعددية الأصوات تقتضي دراسة الأدب الثقافي المقارن بالخروج عن المركزية الأوروبي- أمريكية إلى دراسة الآداب الإسلامية ومنها الفارسية، وكذلك دراسة الأدب الصهيوني في إطار ثوابت بلاغة ثقافة المقاومة الفلسطينية⁽⁸⁾.

الفرع الثاني: قراءة تطبيقية للنقد الثقافي المقارن عند عز الدين المناصرة

في تطبيقات النقد الثقافي المقارن لدى عز الدين المناصرة؛ فإنه يرجع أوليات الأدب المقارن في البلدان العربية إلى روجي الخالدي، إذ كان لديه منهج مقارن تعددي بالمقارنة بين الأدب الفرنسي والآداب القومية الأخرى، في إطار التعددية اللغوية لأنه على اطلاع بأكثر من لغة، مما ينفي التأثير والتأثر إلى التناسية، وكما

أوضح كيفية تطور الأدب الألماني وعلاقته بالأدب العربي والفارسي، وكذلك نهضت العروض الفرنسي من العروض العربي وخاصة في البحر الاسكندراني⁽⁹⁾، أمّا سليمان البستاني في ترجمته للإلياذة فلقد قارنها البستاني في الأدب العربي القديم بكتاب جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، وينتقد مناصرة ذلك بأنه أمر مبالغ فيه⁽¹⁰⁾، ومن جهة أخرى فإن جمهرة أشعار العرب مغايرة للأسطورة التي تنهض عليها الإلياذة، فلقد أخذت البستاني الحماسة في الدفاع عن اللغة العربيّة، وأما قسطنطين الحمصي فلقد قارن بين رسالة الغفران لأبي العلاء المعري والكوميديا الإلهية لدانتي، إلا أن هذه المقارنات الثقافية لم تلتزم بمنهجية المناصرة التي أعلن عنها بالتعددية بين آداب مختلفة، وزيادة على ذلك فإن دانتي تأثر بالنسخة الشعبية لحادثة الإسراء والمعراج، وليس برسالة الغفران للمعري، وعليه فإن مناصرة شكك في نتائج الحمصي بتأثر دانتي برسالة الغفران⁽¹¹⁾.

قارن عز الدين المناصرة ثقافياً بين وليم فوكنر في رواية الصخب والعنف ورواية نجمة لكاتب ياسين، وأيضاً رواية ما تبقى لكم لغسان كنفاني، وبين بيجماليون لبرناردشو وتوفيق الحكيم وكذلك بين الموشحات الأندلسية وشعر التروبادور، إلا أن هذه المقارنات الثقافية لم تلتزم جميعها بمنهجية المناصرة التي أعلن عنها بالتعددية بين آداب مختلفة، وعلى الرغم من ذلك فإنها تظهر التعدد والتنوع في المقارنة الثقافية بين العالم الغربي والشرقي، ولكنه في المقارنة بين وليم فوكنر والكاتب ياسين، فلقد استعمل عز الدين المناصرة مصطلحات السرقات الأدبية مثل؛ أخذ وأيضاً منهج التأثير والتأثر الفرنسي، ولم يفصل بين تيار الوعي والأدب المقارن⁽¹²⁾.

المطلب الثّاني: دراسة التّقد الثّقافي لدى عبد الله الغدّامي

تنقسم دراسة هذا المطلب على فرعين، وأما الفرع الأول فيهتم بمناقشة مفهوم التّقد الثّقافي لدى الغدّامي، وتطبيقه للتّقد الثّقافي في الفرع الثّاني. وذلك على النحو الآتي:

الفرع الأوّل: مفهوم التّقد الثّقافي لدى الغدّامي

إنّ النقد الثّقافي لدى عبد الله الغدّامي هو فرع من فروع النقد النصّوصي العام ومن ثمّ فهو أحد فروع علوم اللغة وحقول الألسنية، ويعالج الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثّقافي بكلّ تجلياته، وصياغة ما هو غير رسمي وغير مؤسّساتي، وكشفًا لأقنعة البلاغة الجمالية، وكما توجد نظريات في الجماليات فإن المطلوب بوجهة نظر الغدّامي إيجاد نظريات في القبحيات، ويشبه الغدّامي النسق بعلم العلل في مصطلح الحديث، إذ إنّ علم العلل في الحديث النبوي الشريف يكشفوا عيوب الخطاب في المتن وفي السند، وأما في الأدب فإنه تشريح للنصوص واستخراج للأنساق المضمرّة، ورصد لحركتها بما يسمى ببلاغة القبح⁽¹³⁾.

وعلى الرغم أن النقد الثّقافي يوجه سهامه إلى الثقافة غير الرسمية، فإن الغدّامي وظفها لائحة اتهام ضد الكلاسيكية والحداثة العربية، فلقد افتتح كتابه بالسؤال عن الحداثة العربية في مقدمته إذ تساءل؛ هل الحداثة العربية حداثّة الرجعية؟ وهل جنى الشعر العربي على الشخصية العربية؟ وهل هناك علاقة بين اختراع الفحل الشعري وصناعه الطاغية؟ وهل في ديوان العرب أشياء أخرى غير

الجماليات؟ هل هناك أنساق ثقافية تسربت من الشعر وبالشعر لتؤسس لسلوك غير إنساني وغير ديمقراطي؟⁽¹⁴⁾

ولذا فإن الهدف من دراسة الغدامي هو الكشف عن العيوب النسقية للشخصية العربية المتشعنة، ومدى انعكاسها على السلوك الاجتماعي والثقافي، وبذلك يضع هدفاً واضحاً غير تأويلي، وفي قراءة محددة لكشف قبح الجماليات العربية دون غيرها، وتقويض الحداثة والكلاسيكية العربية متأثراً بعلي حرب في نقد الحداثة⁽¹⁵⁾ وكذلك برون بارث في نقد الكلاسيكيات الغربية لبلزك وراسين والمرتبطة بنقد الفكر البرجوازي الغربي على نهج برناردشو في نقده المثير والمستفز لشكسبير⁽¹⁶⁾ وعليه يبحث الغدامي في اللاأدبية واللاشعرية.

يتضح المشروع الفكري النقدي للغدامي من عنوانات الكتب التي ألفها، فلقد استخدم منهج التشريح (التفكيك) والتحليل النفسي في مصطلحات تأنيث القصيدة والطاغية والفحولة⁽¹⁷⁾، وفكره ليبرالي على خلاف عز الدين مناصرة صاحب المشروع التحرري، وكذلك مرجعيته نقدية أنجلوسكسونية، وهذا يتضح من قائمة مراجع كتبه، ولذا يركز الغدامي على نقد الثقافة، ووسائل الاتصال من التلفزيون وثقافة التواصل الاجتماعي مثل الفيسبوك والتويتر، التي أصدر بها مؤلفات مستقلة.

يربط الغدامي بين الثقافة والتكنولوجيا في إنتاج الرواية التكنولوجية؛ إذ تقوم هذه الرواية على التخييل المركزي المبني على الممكن والمتطور مع شفافية التوصيف في شخصيات عجائبية وعنيفة، التي تقاتل من أجل السلطة، والبقاء في عالم المدينة

الحديثة والبيوتات المالية والصناعية الضخمة، وعالم السرعة والطاقة والمفاجأة، التي تُعدُّ سمات المجتمع التكنولوجي المتقدم، أما بالنسبة للتعددية الثقافية فإنها تسعى إلى تقويض المركزية الثقافية الذكورية البيضاء الغربية التي تتجاهل الآخر النسوي والأسود.

فيما يتعلق بالجماليات الثقافية "التاريخية الجديدة" فإنها خطاب ناقد للنهضة الأوروبية، وخاصة الشكسبيرية، ويقوم على تداخل الاختصاصات العلمية، لبيان علاقة تفاعلات البنى المؤسساتية بين الذوات والنصوص، لقراءة التنوعات والاختلافات المتصارعة داخل نسيج التكوين النصي، إذ لا يمكن قراءة النصوص إلا عبر الآخر المعادي مثل الهنود الحمر، أو؛ السود في النصوص الأمريكية؛ وعليه فإن التاريخية الجديدة تُعدُّ نظرية في القراءة والتأويل، وتشتغل الججماليات الثقافية علي دراسة الحدود الفاصلة بين ما هو أدبي وغير أدبي، وكيف شيدت هذه القواعد التي تناولها خطاب النهضة في الفرز الثقافي للوعي الجمعي الغربي.

وبذلك فإن الأدبية لدي الغدامي تدل على التصور الرسمي المؤسسي للجمال والشروط والقوانين التي تجعل من النص أدبيًّا؛ وعليه فإن دراسة الغدامي تبحث فيما هو غير أدبي ليتحرر النقد من الشروط المؤسساتية، وبذلك يقدم نقلة نوعية - كما يصفها- للفعل النقدي من كونه أدبيا وفرديا إلى ثقافيًا وجمعيًا، ولهذا؛ ينقل مفاهيم البلاغة الأدبية إلى مفاهيم البلاغة الثقافية، لتصبح التورية والمجاز والجملة ثقافية، وبناءً عليه ينتقل من مفهوم النقد النصوي إلى النقد الثقافي على الرغم من أنه يجعل النقد الثقافي فرعاً من فروع النقد النصوي.

الفرع الثاني: تطبيق النقد الثقافي لدى الغدّامي

تطبيقاً لنظريه النقد الثقافي على النصوص الكلاسيكية والحداثيّة العربية فإن الغدّامي يتجه إلى قراءة استفزازية وإثارية فيما يتعلق بها، إذ إنه ينقض الكلاسيكيات العربية، وي طرح التساؤل التالي: هل المتنبي مبدع عظيم أم شحاذ؟ وفيما إذا كان هناك علة للخطاب العربي المنافق والمزيف في الشعر العربي؟ وتضخم الأنا العربية، ويطلق سؤالاً يطال النسق العربي كله، إذ يصف الشعر بأنه الأخطر، والأكثر ديمومة في تكريس السلوك غير الديمقراطي، وإن في جمال الشعر العربي نسقية خطيرة، التي تتمثل بشخصية الشحاذ والكذاب والمنافق والطماع، وكأن هذه الصفات لم يعرفها إلا الغدّامي، فزعم أنه اكتشف البارود ببيانه الأنا المتضخمة وشخصية الطاغية، ولمّا كان هذا مطروح في التراث العربي فإنه ينتفي عنه العلة النسقية، فقضايا الصدق والكذب والغموض والوضوح والدين والأخلاق والتخييل الشعري طرحت منذ فجر النقد العربي، وفيما إذا كان أعذب الشعر أكذبه أم أصدق أم أقصده؟ ولم يقل بها أبو حيان التوحيدي منفردا لكشف العلة النسقية، وهذا ما ينطبق على نقده لابن المقفع، ومفهوم الفحولة، إذ إنها نصوص أخذها العربي من بيئته، وإن البيئة الصحراوية تعزّز الذكورة نظرا لقسوتها، أما قوله بأن قمة النسقية تكون في المقامة وبأنها أبرز وأخطر ما قدمته الثقافة العربية كعلامة صارخة على فعل النفاق وبأن حبكاها تتمحور في الكذب والبلاغة والشحاذة⁽¹⁸⁾، فإنه قول يتعارض مع نشاط النقد الثقافي لفن المقامة إذ إنها ثقافة شعبية وغير رسمية تصلح أن تكون محلا له، لا لدلالة على النسق المضمّر الذي بينه الغدّامي، وزيادة على ذلك فإن الادعاء بأن

المقولة البلاغية مجردة من الفعل، هو قول يناقض ما ورد في علم أصول الفقه من الحقيقة والمجاز، والتداولية التي نهضت على أفعال الكلام، وعليه لا يمكن تأييد الغدامي في جميع ما توصل إليه، وهو على خط موازي للمناصرة في بلاغة الثقافة وقضايا التحرر والحداثة، ويتضح من الفضاء النقدي العربي الاهتمام الأكبر في مشروع الغدامي نقداً، إذ إن الاهتمام بالمناصرة شاعراً، أكثر تداولاً منه ناقداً، ويكفي لذلك النظر إلى الإعلام، وكذلك بالبحث عن اسميهما في قواعد البيانات، ومنها قاعدة دار المنظومة، وقد يعود ذلك إلى أن الغدامي لم ينشغل بمشروع التحرر الوطني على غرار المناصرة، أو أن هناك اهتمام ثقافي لترويج مشروع الغدامي، وعدم الاهتمام بمشروع مناصرة التحرري، ويتضح ذلك من أقوال المناصرة التي بيّن فيها عدم تداول مشروعه عربياً مقابل تيار الشعراء غير الثوريين.

الخاتمة:

وفي نهاية هذه الدراسة، فإن الأدلوجة الليبرالية الغدامية، مناقضة لمشروع التحرر المناصري، ولقد نجم عن ذلك توجهات مختلفة حد التناقض بينهما في دراسة التراث، والحداثة العربية، وزيادة على ذلك فإن كلاهما لديه مدرسة نقدية مناقضة للأخرى، فالغدامي أنجلوسكسوني ليبرالي بطابع عربي إسلامي، ذو أنساق مضمرة، أما المناصرة فإنه يساري ثوري بطابع عربي إسلامي، ذو أنساق مقاومة، وزيادة على ذلك فإن مناصرة مناهض للصهيونية، وناقد ملتزم، مما يجعل تلقي مشروعه النقدي، وجهازه المفاهيمي عسيراً في مرحلة التراجع والهزيمة العربية، وهيمنة العولمة، مما يدعو إلى تفعيل بلاغة الثقافة المقاومة، وتناول جهازه المفاهيمي بالتطبيق والتلقي والنقد.

الهوامش:

(1) يُنظر عبد الباسط س. ه. (2015). النقد الثقافي: مفاهيم وأبعاد نحو نظرية جديدة في النقد. مجلة كلية الآداب واللغات، 1(1)، 11-26.

ص14. <https://www.asjp.cerist.dz/en/article/50158>

(2) سعيد، إدوارد. العالم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م، ص 7،6.

(3) المناصرة، عز الدين. النقد الثقافي المقارن: منظور جدلي تفكيكي، مجدلاوي للنشر والتوزيع: عمان، 2005م، ص، 11.

(4) المرجع نفسه، ص 3

(5) المرجع نفسه، ص 19

(6) المرجع نفسه، ص 35-46.

(7) المرجع نفسه، ص 51-62.

(8) المرجع نفسه، ص 76-108

(9) المرجع نفسه، ص 358، 359.

(10) المرجع نفسه، ص 373-374

(11) المرجع نفسه، ص 389، 390

(12) المرجع نفسه، ص 462-476

(13) الغدامي، عبد الله. النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، 2001م ط 2، ص 84.

(14) المرجع نفسه، ص 7

(15) المرجع نفسه، ص 6

(16) المرجع نفسه، ص 13

(17) المرجع السابق ص 311

(18) المرجع السابق ص 93-219.

المراجع:

- زقيم، عصام. وزين، خديجة. (2023). النص الأدبي من النقد الأدبي إلى النقد الثقافي، كتاب " النقد الثقافي " لعبد الله الغدّامي أمّوذجاً. بدايات، 5 (2)، 45-60.
- سعيد، إدوارد. العالم والنص والناقد، ترجمة عبد الكريم محفوض، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م
- عبد الباسط س. ه. (2015). النقد الثقافي: مفاهيم وأبعاد نحو نظرية جديدة في النقد. مجلة كلية الآداب واللغات، 1(1)، 11-26.
- عمر ز. (2015). النقد الثقافي باعتباره طاغية قراءة في ميتافيزيقا النقد الثقافي عند عبد الله الغدّامي. مجلة كلية الآداب واللغات، 1 (1)، 188-198.
- الغدّامي، عبد الله. النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء، 2001م ط 2.
- المناصرة، عز الدين. النقد الثقافي المقارن: منظور جدلي تفكيكي، مجدلاوي للنشر والتوزيع: عمّان، 2005م.

References:

- Zakim, Issam. And Zain, Khadija. (2023). *Literary text from literary criticism to cultural criticism*, the book "Cultural Criticism" by Abdullah Al-Ghadhami as an example. Beginnings, 5 (2), 45-60.
- Said, Edward. *The World, the Text, and the Critic*, translated by Abdul Karim Mahfoud, Arab Writers Union Publications, Damascus, 2000.

-
- Abdul Basit S. H. (2015). *Cultural criticism: concepts and dimensions towards a new theory of criticism*. Journal of the College of Arts and Languages, 1(1), 11-26.
 - Omar Z. (2015). *Cultural criticism as a tyrant*. A reading of the metaphysics of cultural criticism according to Abdullah Al-Ghadhami. Journal of the College of Arts and Languages, 1 (1), 188-198.
 - Al-Ghadhami, Abdullah. *Cultural Criticism: A Reading of Cultural Patterns*, Arab Cultural Center: Casablanca, 2001, 2nd edition.
 - Al-Manasra, Ezz El-Din. *Comparative Cultural Criticism: A Deconstructive Dialectical Perspective*, Majdalawi Publishing and Distribution: Amman, 2005.